Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مترددا ، وفى كل الحالات كان يتحرك رَجُلاً على رقعة صغيرة فى أيامه ، هى كل ما بقى للمسلمين فى الأندلس ، ولا يعد معها فى حركته غريبًا يشكو ، أو نائيًا يحن ، لأنها فى أقصى أطرافها على مسافة أيام قليلة من أى مكان يشتاق إليه . وقد نفهم من اعتذاره للسلطان فى أبيات سبقت بأن الغربة هى التى نأت به بأنه كان خارج بلاده ، وهو ما يمكن أن نفهمه أيضًا من الأبيات التالية يتحدث فيها عن نفسه غريبًا يحن إلى بلاد لا يضيع بها الأديب ، رائقة الطبيعة ، طيبة الهواء ، خلف فيها حبه وقلبه ، وإذا استثنينا هذا الأخير ، فبلاد الأندلس كلها سواء فى ألوان الطبيعة وتقدير الأديب :

ألا ذكر الإلهُ بكل خَيْرٍ بلادًا لا يضيع بها أديبُ
بلادٌ ماؤها عذب زلالٌ وريحُ هوائها مسك وطيبُ
بها قلبى ، الذى قلبى المعنَّى يكاد من الحنين له يذوبُ

أين كان إذن ؟ بدءا أستبعد أنه ذهب إلى الجانب المسيحى من الأندلس ، رغم أن العلاقات السياسية بين غرناطة وجيرانها كانت فى فترات كثيرة قوية ومسالمة ، والجزية التى كان يدفعها محمد الغالب لقشتالة جعلت منه تابعًا لها من حقه أن يكون عضوًا فى برلمانها ، (الكورتس Cortes) ، ومن حقه أن يحضر اجتماعاته ، ورغم أن هذه البلاد كانت حتى تلك اللحظة عامرة بالمسلمين الذين حملوا اسم المدجنين Los Mudejares ، ويسهمون بنشاط فعال فى حركة الحياة اليومية ، من اقتصاد وزارعة ومعمار وفن وثقافة ، بعيدًا عن السياسة ومشاكلها ، لأن قصيدته هذه ، وواقع حياته بعدها ، لا يشى بشىء من هذا على الإطلاق .

لم يبق إذن إلا أن نفترض أنه عبر المضيق إلى العدوة الأخرى ، إلى مغرب بنى مرين ، أرجح هذا حدسًا وليس معى من الوثائق ما اعتمد عليه ، ولا من الإشارات ما يدعم ظنى ، غير ما استنطقته من أبياته السابقة ، ومن ظاهرة أخرى لا أجد لها ، ولم يجد غيرى ، تفسيرًا ، وهى أن نونية أبى البقاء ، وفى مجملها إدانة لحكام الأندلس وتحريض عليهم ، لم ترد ، كما سنرى ، فى أى مصدر أندلسى رغم شهرتها ، وكان كتاب **الذخيرة السنية ، فى تاريخ الدولة المرينية ، العبد حقية** » المصدر الوحيد الذى جاء بها كاملة ، وهو